الإشاريات الإبهامية في رسالة الجد و الهزل للجاحظ
(مقاربة تداولية)

أ.د. هاني صبري ال يونس
جامعة الموصل
كلية التربية
قسم اللغة العربية

م. م مهاباد هاشم ابراهيم
جامعة صلاح الدين
كلية التربية
قسم اللغة العربية

المقدمة

يندرج هذا البحث في سياق الكشف عن الإشاريات الإبهامية في الخطاب التداولي و دورها في تأطير مفهوم اللسانيات عموماً ، فقد كان للقدماء دورٌ في التأسيس لهذا المفهوم ظهر في تتابع نتاجات نصية مهمة يمكن أن تشكل الأساس الأول في استظهار مفهوم الإشاريات الإبهامية ، و الثابت الذي لاشك فيه أن المقاربة التداولية هنا تستهدف من ضمن ما تستهدف إقامة علاقة تكاملية يكرز أهمية التواصل بين المخاطِب و المخاطَب ، فالجاحظ يحيل دائماً إلى هوية المتخاطبين و الدور الذي يمكن أن يقوم به كلّ واحد منهم ، فضلاً عن رصده للمحددات الزمانية و المكانية التي تسهم في تحليل البعد الخطابي و المرجعية التي أحيلت عليها .

ومن الملاحظ إن الإشاريات عند الجاحظ تعد " من التعابير اللغوية الإحالية التي تمتلك القدرة على ربط النص بالواقع الخارجي من خلال وحدات الشخوص و الزمان و المكان ، وفي اللغة يعد التعبير إشارياً في سياقٍ ما ، إذا ماكان مرجعه لا يستطيع أن يكون محدداً إلا ازاء الهوية أو إزاء وضع المتخاطبين في اللحظة التي يتكلمون فيها ". [1]

يلحظ أن الإشاريات في رسالة (الجد و الهزل) تكتسب دلالاتها من خلال استخداماتها في السياقات المتعددة ، ولايمكن الاستغناء عن هذه الإشاريات الثلاثة :

- الأنا
- الهُنا
- الآن

ونظراً لأن خطاب الجاحظ يشكل وحدة غير قابلة للتجزئة لذا فإن غياب عنصر واحد من هذه المكونات الخطابية الثلاث يغيب المرجع و يغيب القصد الذي يحدد من خلال هذه العناصر الثلاثة : [2]

١- الأنا : المخاطِب الذي يعد الكلام .

٢- الهُنا : المكان .

٣- الآن : الزمن

---

(١) الإحالة في شعر أدونيس : ١٠١ .

(٢) ينظر : استراتيجيات الخطاب (الشهري) : ٨٠–٨١ ، , الاتجاه التداولي و الوظيفي: ٨٨–٨٩ .

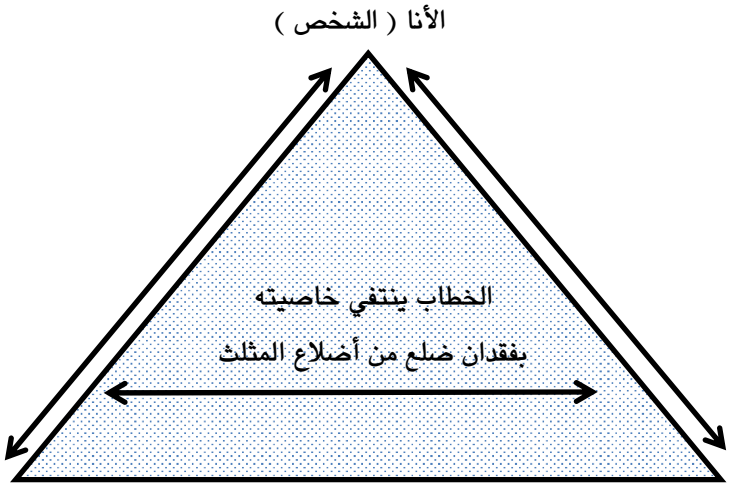

تماسك أضلاع المثلث الثلاثة = تماسك الخطاب و تداوليته و تفاعله وتواصله

المبحث الأول
الإشاريات الشخصية

أن تلك الإشاريات أو الوحدات اللغوية التي ترد في الخطاب اللساني تمثل (الضمائر) التي هي أسماء جامدة دالة على المتكلم أو المخاطَب و الغائب [١] ، فهذه الضمائر تمنح الخطاب بُعداً تداولياً بمجرد تحديد الوظيفة المرجعية التي تحيل إليها هذه الضمائر .

فقد اهتم العلماء القدماء بهذه الإشاريات الشخصية وسموها بـ (المضمرات أو الضمائر) التي تشترط فيها أن تكون لها مفسر مناسب يوضح ما كان غامضاً ويحكمها [٢] ، إذ يقول: سيبويه (ت ١٨٠هـ) بهذا الصدد في باب علامات المضمرين المرفوعين : " اعلم أنّ المضمر المرفوع ، إذا حدّث عن نفسه فإن علامته أنا ، و إن حدّث عن نفسه و عن آخر قال : نحن ، و إن حدّث عن نفسه وعن آخرين قال : نحن . وأما المضمر المخاطَب فعلامته إن كان واحداً : أنت ، و إن خاطبْتَ اثنين فعلامتهما : (أنتما) ، و إن خاطبتَ جميعاً فعلامتهم (أنتم) ، ..... وأما المضمر المحدّث عنه فعلامته : هو ، و إن كان مؤنثاً فعلامته (هي) ، و إن حدّثتَ عن اثنين فعلامتهما : (هما) ، وإن حدّثتَ عن جميع فعلاماتهم : (هم) ، و إن كان الجميع جميع المؤنث ، فعلامته : (هُنّ) " [٣]

وسموها بـ(المبهم) ؛ لإن هذه الضمائر توقع في اللبس و الغموض و تحتاج هذه المبهمات إلى توضيح و بيان ، فإبن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) عرض لنا فكرة تسمية الضمائر بـ (المبهمات) ؛ " لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك ، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلبس على المخاطَب ، فلم يدرِ إلى أيهما تشير فكانت مبهمة لذلك ، و لذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس .... " [٤] ، بمعنى أن الضمير يحتاج إلى ما يزيل إبهامه و غموضه كي يتضح مدلوله الذي لايظهر إلا من خلال التلفظ بالخطاب . [٥]

(١) النحو الوافي: ٢٧١/١ ، و نحو اللغة العربية : ١٤٢ .

(٢) ينظر : علم اللغة النصي (صبحي الفقي) : ١٦١ ، علم لغة النص (عزة شبل) : ١١٩ ، و الإحالة في شعر ادونيس : ١٠٢–١٠٣ .

(٣) الكتاب : ٢/ ٣٥٠–٣٥١ .

(٤)شرح المفصل : ٢٢١/٣ .

(٥) ينظر : تواصلية الاسلوب في روميات أبي فراس : ٤٣.

أما رؤية التداوليين للإشاريات فتتجلى في نسيج الخطاب و إيضاح ما يعتريه من الإبهام و الغموض ؛ لتتم التواصل بين المتخاطبين فضلاً عن إرتباطها بواقع االحال الذي يحيلنا إلى المعنى المقصود فالإشاريات الشخصية "هي التي تعبر عن الذاتية في اللغة، لذلك فإن استعمال كل جماعة لغوية لها يخضع لمجموعة من التعاقدات ، ثم إن المتكلم بمجرد تلفظه بـ (أنا) يكون قد وضع أمامه وبطريقة آلية شخصاً يقابله هو أنت " [١] .

نلحظ ان الإشاريات تشكل قوتها في ثنائية (أنا) و (أنت) ، (أنا) الذي يمثل المحور الأساس في الخطاب و (أنت) الذي تمثل المحور المتتم للخطاب إذن " الضمائر الشخصية مبنية على التقابل بين الحاضر و الغائب (مقولة الزمن) ؛ لأن الضمير (أنا) لا يحيل إلا على المتكلم ؛ أي إلى الذي يقول(أنا) ، وبقوله ذلك يفترض حتماً وجود آخر يوجه إليه خطابه و يشير إليه بـ(أنت) كما تبرز العلاقة الوثيقة التي تربط المتكلم بالمخاطَب إطلاق تسمية (هو) على الشخص الغائب من العملية التخاطبية " [٢] ،إلى جانب العناصر الأخرى التي تتمثل في الزمان و المكان و الأحكام وموضوع الخطاب ذاته .

فبذلك تعد الإشاريات الشخصية عنصراً مهماً في تحديد الخطاب التداولي اللساني و تحديد عناصره التي تتمظهر في الدور الذي يقوم به المتخاطبون في السياقات الخطابية التداولية وفقاً للمرجع أو المقام الذي قيل فيه إذ يقول بعضهم : " لايمكن إحصاء الوحدات الذاتية في العملية التلفظية دون النظر إلى الوحدات اللغوية التي ندعوها بـ(المبهمات) أو (الضمائر) المعرفة مؤقتاً بمجموعة من الكلمات التي يختلف معناها باختلاف المقام ". [٣]

وأن هذه الإشاريات لايمكن أن تخلو من الوظائف التي تمنح الخطاب بعداً تداولياً ، و التي تبرز دورها في عملية الربط التي تنتج التماسك الشكلي الدلالي في آن واحدٍ [٤] ، و التي تعمل على وصل التراكيب بعضها ببعض فضلاً عن وظيفة الربط ، فإنّ قيمة التماسك و وظيفتها تكمن في استعمالها داخل السياق قصد الإيجاز و الإختصار في التعبير بالاستغناء عن إعادة مما سبق ذكره . [٥]

و جملة الأمر أن وظيفة الإشاريات الشخصية التي ينتجها السياق خاضعة للوضعيات الاجتماعية و الفكرية و الثقافية في الخطاب ، لأن ؛ "الذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق ، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه ، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداولياً "لأن الأنا قد تحيل على على المتلفظ الإنسان أو المعلم أو الأب .. وهكذا " [٦] .

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الإشاريات الشخصية التي " لا تدل بنفسها و أن معناها وظيفي يتعلق بالسياق الذي ترد فيه ، وعلى المتلقي أن يكشف المرجع الذي تحيل عليه الضمائر في الخطاب " [٧] ، إلى : ضمائر الحضور و

(١) مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية :٨٤ .

(٢)التداوليات و تحليل الخطاب : ١٦٥ .

(٣) التحليل التداولي للخطاب اللساني (بحث انترنيت) : ٢٤٣.

(٤) ينظر : علم اللغة النصي (صبحي الفقي): ١٦١/١ ، علم لغة النص (عزة شبل) : ١١٩ ، الإحالة في شعر أدونيس : ١٠٣ ، و ضمائر العربية (المفهوم و الوظيفة) (بحث انترنيت) : ٩. http://fll.univ-biskra.dz/images/pdf

(٥) ينظر : دور الروابط في اتساق و انسجام الحديث القدسي : ٨٦ ، و الإحالة في ضوء اللسانيات النص و علم التفسير : ٥٨ ، و ضمائر العربية (المفهوم و الوظيفة : (بحث انترنيت) : ٦ . http://fll.univ-biskra.dz/images/pdf

(٦) استرتيجيات الخطاب (الشهري) : ٨٢ .

(٧)تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس : ٤٤.

ضمائر الغياب ، و تنقسم ضمائر الحضور إلى متكلم هو " مركز المقام الإشاري وهو الباث ، و إلى مخاطَب يقابله في ذلك المقام و يشاركه فيه هو المتقبّل ....." [١] .

أما ضمائر الغياب فصاحبه غير معروف ؛ لأنه غير حاضر وقت نطق بالكلام ولا مشاهد ، و لكن لابد أن يكون موجوداً ؛ لأنه هو المقصود بالكلام ، ولابد لهذا الضمير من شيءٍ يفسره و يوضح مراده [٢] ، وقد تمكّن محمد الخطابي من التمييز بين أدوار الكلام في الخطاب اللساني ، فأدوار ضمائر المتكلم (أنا و نحن) ، إلى ضمائر المخاطَب (أنت – أنتم ...) التي تعد من قبيل الإحالة المقامية التي تخلق النص ، فضلاً عن الضمائر الأخرى الدالة على الغياب و التي سموها بـ (أدوار أخرى) ؛ لأنها مؤدية وظيفة اتساقية داخل النص [٣] .

المبحث الثاني
الإشاريات الزمانية و المكانية

وهي الإشاريات التي تنبني على استخصار الوحدات الزمانية المحددة وفقاً للسياق التواصلي التداولي ، وتسمى هذه الإشاريات في اللغة العربية بـ (الظروف) ؛ لأنها أوعية لما يجعل فيها ؛ ولأن الأفعال تقع فيها و تحلها و لاتؤثر فيها مضادات كالإناء أوهي كالأوعية لها [٤] .

مما لاشك فيه أن توجه المخاطِب نحو الإشاريات الزمانية ترتبط بالمظاهر الاجتماعية ، و تقتضي بالضرورة تحقيق مقاصده و تحديده وصولاً إلى المعاني المبتغاة من الخطاب من خلال الزمن المتعلق بالسياق الذي يساعد المخاطَب على استجلاء هذه المعاني وفهمها و التعرف على حال المخاطِب في الحاضر و الماضي .

فالإشاريات الزمانية هي مجموعة من العناصر اللسانية التي تحيل على السياق الزماني وهذه العناصر" تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام ، فإذا لم يُعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية ألتبس الأمر على السامع أو القارئ " [٥] .

فالزمن عنصر إشاري آخر يتجلى دوره في السياق الخطابي الذي أُنتج فيه النص و الذي يتغير تبعاً للسياق ؛ لأنه " يوصف متغير تبعاً للعلاقات السياقية أو القرائن الحالية ...." [٦] .

وأن المخاطِب يتلفظ بالخطاب في لحظة زمنية – تتمثل في المضي و الآن و المستقبل – عن طريق قرائن الافعال المتعلقة بعلامات الماضي و أحرف المضارعة و عن طريق الظروف (الآن – الأمس – فيما بعد – بعد يومين – غداً – مساءً ...) ، تبعاً للمرجع و السياق ، ومن " أجل تحديد مرجع الادوات الإشارية الزمانية ، و تأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً ، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ ، فيتخذها مرجعاً يحيل عليه ، و يؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها" [٧] .

---

(١)نسيج النص (الأزهر الزناد): ١٧٧ .

(٢) ينظر :تواصلية الأسلوب في رميات أبي فراس: ٤٥ ، الإحالة الضمائر (مجلة جامعة الأزهر بغزة ، المجلد ١٣ ، العدد ١ (B): ٩–١٠ .

(٣)ينظر : لسانيات النص (محمد الخطابي) : ١٨ .

(٤) ينظر : معاني النحو : ١٥٣/١ ، و الظرف خصائصه و توظيفه النحوي : ٥.

(٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (محمود نحلة) : ١٩ .

(٦) علم اللسانيات الحديثة : ٤٧٢.

(٧) استراتيجيات الخطاب (الشهري) : ٨٣ .

من المعلوم أن الخطاب اللساني التداولي تتأرجح بين الإشاريات الشخصية القائمة على ضمائر الدالة على المخاطِب و المخاطَب ، و الإشاريات الزمانية المبنية عى الظروف و الكلمات الدالة على الزمان فضلاً عن الإشاريات المكانية التي تتجسد دورها في الألفاظ المبنية الدالة على المكان فيه الذي هو عنصر إشاري آخر يعتمد " استعمالها و تفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم أوعلى مكان آخر معروف للمخاطَب أو السامع و يكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بُعداً أو جهةً " [١] .

ويعني أن الدارس للخطاب لابد من مراعاة المكان الذي يسهم في بنائه و تكوينه وذلك من خلال " تحديد المواقع بالإنتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي و تقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقاً من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما : إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى ، و إما بتحديد أماكنها من جهة أخرى " [٢] .

تمتلك اللغة العربية أدوات لغوية مختصة بالمكان و التي تتمثل في (هنا ، هناك ، هنالك ، ثَمّ ، ثمّة) ، وهم من ظروف المكان التي تحمل الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم ، و أسماء الإشارة (هذا ، ذاك) فضلاً عن سائر ظروف المكان المتمثلة بـ(فوق ، تحت ، أمام ، خلف ، يمين ، يسار ، شمال .....) [٣] .

ولايستطيع المخاطِب تفسير هذه الأدوات اللغوية الإشارية و تحديد مكانها إلا بالرجوع إلى السياق الذي يمثل الحجر الأساس في علم المعنى ، إذ إن المعنى لا ينكشف و لايتحدد إلا بوضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة [٤] ، وإذا ما انتفى السياق في تحديد الدلالة اللغوية تبقى هذه الإشاريات مبهمة غير مفيدة [٥] ، إذ المخاطِب لا يستطيع الاستغناء عن المكان و الزمان عند تلفظه بالخطاب ؛ لأن هذه العناصر " لا يتحدد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلم و اتجاهه" [٦] .

انطلاقاً من الجانب التنظيري للإشاريات ودورها في تأدية المعنى المراد نتوقف عند التحليل التداولي للإشاريات تطبيقياً و التي تهدف إلى استجلاء الخطاب و تواصله و تفاعله و ذلك من خلال إمتلاك المخاطِب للغة و تأديته لها وفقاً للقوانين و المعايير التي تسمح لها بإقامة علاقة مبنية مع المخاطَب ؛ لأن الخطاب هو " الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين ، و الصيغة التي نتلقى بها أفكارهم "[٧] .

نلحظ أن الجاحظ اهتم في رسائله بدراسة التنوع الإشاري عبر الوسائل و الآليات الخطابية الماثلة في الإشاريات الشخصية و الزمانية و المكانية و لا سيما في رسالته (الجد و الهزل) .

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (محمود النحلة) : ٢١ .

(٢) استراتيجيات الخطاب (الشهري) : ٨٤ .

(٣) استراتيجيات الخطاب (الشهري) : ٨٤ .

(٤) ينظر : علم اللغة النصي (صبحي ابراهيم الفقي) :١/ ١٠٦ .

(٥) ينظر الإحالة في شعر أدونيس : ١١١ .

(٦) تواصلية الاسلوب في روميات أبي فراس : ٤٩ .

(٧) اللغة و سيكولوجية الخطاب : ١٠ .

المبحث الثالث

كشف الإشاريات الإبهامية في (رسالة الجد و الهزل)

رسالة الجد و الهزل من تصنيف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إلى محمد بن عبدالملك الزيات وهي الرسالة الخامسة من رسائل الجاحظ بتحقيق عبدالسلام هارون ، وهي تعد من خير ما كتب الجاحظ ، و تدخل في باب الأدب الخالص [١] .

يقودنا فكر الجاحظ في هذه الرسالة إلى إستنتاج مجموعة من العناصر التي تشكل البنية الأساسية للخطاب التداولي القائم بين ثنائية (أنا) و (أنت) .

(أنا) ـــــــــــــ الذي يتمثل في شخصية الجاحظ .

(أنت) ـــــــــــــ الذي يتمثل في شخصية (الزيات) الوزير .

(أنا) يتمثل في شخصية الجاحظ كونه مخاطباً مؤدياً الوظيفة التعبيرية الانفعالية الكامنة في تحديد العلاقة بين المخاطِب و المخاطَب ، فضلاً عن كونه عاملاً بارزاً في تحقيق الوظيفة التداولية التواصلية في الخطاب الذي يرتبط بالمخاطَب " بوصفه تعبيراً عن إشكالية أو موقف ما " [٢] ، و (أنت) الذي يتمثل في شخصية الوزير ابن الزيات الذي دأب على الوظيفة الانتباهية الندائية و تمظهره في العملية التخاطبية المرتبطة به ؛ لأن الخطاب كما هو معلوم مرتبط بالمخاطَب"بوصفه تعبيراً عن موضوع متداول يهم المتلقي ، ويؤثر فيه بالدرجة الأولى، وهذا ما يمنحه صفة التداولية "[٣] .

وفي إطار حديثنا عن الرسالة لايمكن أن نتغافل عن الحديث في سبب تأليف الرسالة التي تعد عنصراً مهماً في نجاح العملية التخاطبية التداولية فضلاً عن أنها تترك الأثر في نفوس المخاطبين .

فرسالة الجد و الهزل لأبي عثمان الجاحظ موجهة إلى الوزير(محمد بن عبدالملك الزيات) (ت ٢٣٣هـ) ، الذي كان عالماً بالنحو و اللغة و الأدب و كان من أعلام الكتّاب في العصر العباسي ، وكان الجاحظ على علاقة طيبة مع الزيات ، انطلاقاً من العلاقة الطيبة بينهما نلحظ خروج الجاحظ عن المألوف في تخاطبه مع الزيات ، وهذا الخروج يتجلى في عدم تمسكه بالطريقة * المتبعة في كتابة الرسائل الموجهة إلى الملوك و الوزراء و الأمراء و التي تتضمن الاستعانة بصيغ الدعاء و الجمع في المخاطبات مع الوزير و الأمير باستخدام الضمائر الدلة على الجمع ؛ لمكانة الوزير و الأمير ، ولكن الجاحظ وظّف الإشاريات الدالة على (أنا) في السياق العام ؛ لأن الزيات كان صديقاً قبل أن يكون وزيراً ، إلا أن الصداقة بينهما لم تدُم[٤] كما هي بسبب المشاكل التي وقعت بينهما ، وكان هذا سبباً في تأليف رسالته هذه التي تدور حول موضوع العتاب و معالجة الجفوة التي بدرت من الزيات فضلاً عن بيان أسباب معاتبة الزيات للجاحظ و عدم عدالة

(١) ينظر : رسالة الجدو الهزل : ٢٢٩/١ ، و مجموع رسائل الجاحظ (ت : محمد طه الحاجري) : ٦٩ .

(٢) لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة : ٨٥ .

(٣)لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة : ٨٥ .

* قال أبو هلال العسكري : في بيان الطريقة التي تتبع بين المخاطَبين و المخاطِبين هي " ..... وأن ترفع مقدار المكتوب إليه بتركها إجلالاً و إعظاماً ، بين من تكبت إليه : أنا أفعل كذا ، و بين من تكتب إليه : نحن نفعل كذا " (فأنا) من كلام الاخوان و الاشباه ، (نحن) من كلام الملوك " (كتاب الصناعتين : ١٥٨–١٥٩) .

(٤) ينظر : الكتابة و رهانات الاقناع : ١١١–١١٢. مراجعة وفيات الاعيان

العقوبة [1] ، إذ يستهل الجاحظ رسالته بقوله : " جُعلت فداك ، ليس من أجل اختياري النخل على الزرع أقصيتني،ولا على ميل إلى الصدقة دون إعطائيَ الخراجَ عاقبتني، ولا لبُغْضي دفع الإتاوة والرضابالجِزية حَرَمْتَني" [2] .

يبدو في هذه الرسالة ثمة مرجعية لغضب الزيات على الجاحظ تمثل في تأليف الجاحظ لكتاب (الزرع و النخل) لإبراهيم الصولي الذي كان صديقاً حميماً للزيات من قبل فلنقل (أصحاب المصالح) ، إذ ضاقت العلاقة بينهما بمجرد وصول الزيات إلى الوزارة فاتهمه – اتهم الصولي – بضيعه لأموال الدولة و خراجها ، فالحسد قد أعمى عين الزيات و أدخله إلى السجن إلى أن أتى الخليفة (المتوكل) و تدخّل بالموضوع و أنقذه من يد الزيات [3] .

وقد ربط هذه الرسالة بالأثر الذي تركه في قلب الزيات ، إذ يستخدم في خطابه(مبدأ التأدب) و يتحقق هذا المبدأ في قوله (جُعِلْتُ فِداكَ) الدال على التلطف و الدعاء و " يضبط سلوك المتحاورين .... و يشجعهما على التعاون قصد– –تحقيق الغاية التي من أصلها دخلا في الكلام " [4] ، فضلاً عن بروز العنصر التواصلي القائم بين ثنائية (أنا) و(أنت) وهذه الثنائية تتمظهر من خلال تخاطبه و تحاوره مع الزيات و توجعه مما حدث له من غضب الزيات عليه ، فنجد الجاحظ مخاطِباً يستطيع التعبير عمّا في داخله من شجون و مشاعر وهموم تجاه الموقف الذي وقع بينهما.

لتلمّس مقصدية الجاحظ من الرسالة لابد من محاولة تلمّس البنى اللغوية التركيبية التي تنبعث من فضاءات النصوص في رسالة الجد و الهزل .

فمضمون الرسالة كما أشرنا إليه آنفاً هو العتاب و حدوث الجفوة ، وقد استفتح الجاحظ رسالته بقوله " جُعِلْتُ فِداكَ " [5] ، الذي يعتبر إشارة إلى الحرقة و الحزن على أيام وصله مع الزيات و حزنه على الماضي ، فرسم بذلك لوحة تصور فيه حرقته و حزنه التي نتحسسها في صوت (الجيم) في الفعل (جُعِلتُ) الذي يحمل دلالات معنوية مرتبطة بالجفوة التي بدرتْ من الزيات ، فالجيم من الأصوات الإنفجارية الدالة على رفع الصوت و إعلانه [6] ، وهذا الإعلان عنده كامنٌ في صورة العتاب الذي كوّن حالةً من الإضطراب النفسي عنده نتيجة ما أحدثه صوت الجيم المتسم بالقلقلة الدالة على " الحركة و الإضطراب " [7] ، و تتأزر فاعلية صوت الجيم مع صوت التاء و يُعمّق في وصف حالة الإضطراب و القلق النفسي الذي ينتابه نظراً ؛ لاتسامه بصفة الهمس الدال على إخفاء الصوت المرتبط بإخفاء الحزن في صدره ، والشدة الدالة على المنع و الحصر ،إذ يقول سيبويه بصدد الصوت الشديد ، بأنه "الذي يمنع الصوت أن يجري فيه" [8] .

فالخطاطة الآتية توضح علاقة اللفظ بمدلوله الصوتي :

فانحصار الصوت ـــــــــ إخفاء الصوت

↓

انحصار حزن ـــــــــــ إخفاء حزنه

---

(١) ينظر : الرسائل الأدبية للجاحظ (ت : على بو ملحم) : ٣٢٧/١ .

(٢)رسالة الجد و الهزل : ٢٣١/١.

(٣) ينظر :وفيات الأعيان : ١٥٥/١

(٤) اللسان و الميزان (التكوثر العقلي) : ٢٤٠ .

(٥)رسالة الجد و الهزل : ٢٣١/١.

(٦)ينظر : لسان العرب / مادة (جهر) : ٣٩٧/٢ .

(٧)علم الأصوات (كمال بشر) : ٣٧٩ .

(٨) الكتاب : ٤٣٤/٤ .

ولو استحضرنا لفظة (أقصيتني) ، نجد أن له استقلالية خاصة تمنحها إياها حروفها المركبة منها مما تكسبها خاصية التأثير و الإنجداب نحوها عند سماعها ؛ لأنه الجاحظ استعمل اللفظة بدقةٍ متناهية فاختار اللفظة المناسبة في المكان المناسب التي استوحت دلالتها من صياغتها الكامنة في تلاؤم أصواتها و جرسها و تناسقها ، فالموقف الذي هو فيه أوحته أن يستخدم الفعل (أقصيتني) بدلاً من (أبعدتني) ؛ لأن الأول أقوى و أدل على التعبير عن الموقف الخطابي المعاتب الذي هو فيه ، فضلاً عن أنه يبعث في نفس المخاطَب تفاعلاً و تواصلاً معه لترقب ما يقوله و يفعله المخاطِب .

و لو تأملنا الأصوات التي تكونت منها اللفظة لوجدنا غلبة الجهر و الشدة و تأثير الإطباق على أصوات الانفتاح ، فالهمزة صوت صامت إنفجاري لا مجهور و لامهموس [١] الدالة على القوة و التحرك و الإضطراب فضلاً عن دلالتها على الوضوح و الحضور بإثارة انتباه المخاطِب و جذبه [٢] ، أما الصاد صوت مهموس احتكاكي إطباق مستعل مفخم صفيري [٣] ، و أنه صوتٌ يوحي بوقعها الصارخ [٤] على المخاطَب و طرق سمعه وهذا ما ينسجم مع طبيعة الموقف ، فضلاً عن إتصافه بالصفيرية التي أسهمت على دعم دلالتها المصاحبة بالأزير الذي يملئ أذن السامع و تقرعه كأنه " صوت خارج عن ضغظ ثقبٍ " [٥] ، فدلالة الأصوات إذن تتجلى في ذات الألفاظ وهذه مسألة أدركها اللغويون القدماء لاسيما(ابن جني) (ت ٣٩٢ هـ) الذي عقد باباً له في كتابه الخصائص و سماه باب " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " [٦] ، فالجاحظ أخذ بهذه المسألة و استخدمها في كتاباته ؛ لأنه يخلق في النص وقعاً واضحاً تجعل تشدّ انتباه المخاطَب و تحفزه لتتابع دلالته بغية الإمساك بقيمتها التداولية .

وتكمن القيمة التداولية أيضاً في استخدامه لإشارية (التاء) متصلةٍ دالةٍ على المفرد المخاطِب ، مما يعني أن هناك مخاطباً حاضراً في ذهنه يخاطبه و يحاوره بواسطة استراتيجية تعبيرية معينة وهذه الاستراتيجية ما تجعل الخطاب فعّالاً و مؤثراً .

لعل هذا التحليل يقربنا من آليات التحليل التداولي التي تنطوي على جملة من الخصائص التواصلية الكامنة في الرسالة التي لها غاية في حد ذاتها فضلاً عن المخاطِب الذي يُضمر في داخله هدفاً ، ويضع المخاطَب في ذهنه ، الذي يعتبر هو الآخر طرفاً من عناصر الخطاب الذي هو " دليل على الحالة العقلية للمتكلم و رمزٌ للرسالة و تنبيه للسامع " [٧] .

ففي اثناء حديثه عن الزيات التفت إلى استخدام الإشاريات الشخصية و بناء الخطاب عليها وفقاً لملاءمته للمعنى المقصود و يتضح ذلك من خلال قوله : " ولستُ أدري لمَ كرهتَ قربي وهويتَ بعدي واستثقلتَ روحي ونفسي واستطلتَ عمري وايام مقامي ، ولم سرّتكَ سيئتي ومصيبتي وساءتكَ حسنتي وسلامتي حتى ساءكَ تجملي بقدر ما سرَّكَ جزعي وتضجُّري " [٨] .

---

(١) ينظر : الكتاب : ٥٤٨/٣ ، و شرح المفصل : ١٥١/٢ ، و سر صناعة الاعراب : ٨١/١ ، و دراسة الصوت اللغوي : ١٠٧ ، و جرس الألفاظ : ١٤٩ ، و المدخل إلى علم الأصوات العربية : ١٠٣ .

(٢) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ١٠٧ ، و خصائص الحروف العربية و معانيها : ١٨/١٧ .

(٣) ينظر : سر صناعة الاعراب : ١ /٦٥، ٢٢١ ، و علم الأصوات (كمال بشر) : ٣٢ .

(٤) أثر الصوت في انتاج الدلالة : (د. ساجدة عبدالكريم) : ٣١١ ، مجلة جامعة تكريت ، المجلد (١٧) ، العدد (٣) ، ٢٠١٠م .

(٥) مخارج الحروف و صفاتها : ٩٤ .

(٦) الخصائص : ٢/ ١٤٧ .

(٧) دور الكلمة في اللغة : ٢٧ .

(٨) رسالة الجد و الهزل : ٢٣٠/١ .

فالذي يستوقفنا في نص الرسالة الدقة و الأصالة في إختيار الإشاريات الدالة على المخاطِب و المخاطَب على حد سواء تقريباً ، إذ تبرز أصالتها وأهميتها من خلال أصالة المعاني الدالة عليها ، وتوزيعها توزيعاً منظماً منسقاً محققاً للنص إحكامه و تماسكه و ترابط أجزائه شكلياً ودلالياً ، فوزع الإشاريات في النص وفقاً للآتي : خمس عشرة إشارية دالة على المخاطِب ، و ثماني إشاراتٍ دالةٍ على المخاطَب ، فعدد المخاطِب يتجاوز ضعف عدد المخاطَب ؛ لأن الموقف المعاتب يستدعي ذلك و يتطلبه من أجل تعبير المخاطِب عما يدور في خلده من مشاعر و أحاسيس تجاه المخاطَب .

فغلبة الإشاريات المتكلمة دالةٌ على بروز الذاتية في النص التي هي " قدرة المتكلم على فرض نفسه ذاتاً .... ، إن الوعي بالذات لا يكون إلا إذا تمّ التحقق منه بالنقيض ، فأنا لا أستعمل ضمير (أنا) إلا عندما أتوجه إلى شخصٍ ما يكون (أنت) في خطابي ، إن شرط الخطاب هذا أساسي للشخص ؛ لأنه شرط يستلزم التبادل ...." [١] ، فبؤرة الخطاب متمثلة في كثرة الإشاريات الراجعة إليه ، بينما محور الخطاب هو الزيات .

وقد أجاد الجاحظ في توظيف النفي المراد به التعجب – لستُ أدري – الذي هو إنفعالُ يحدث في النفس عما خفي سببه [٢] ، فعبّر عن عتابه بهذا الأسلوب إشارة إلى أن العداوة و الجفوة حدث فعلٍ في غير مكانه ، و أن " تفضيل الزرع على النخل سبب سخيف للعداوة " [٣] .

فالنفي اسلوب " لغوي تحدده مناسبات القول ، وهو اسلوب نقض و إنكار ، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطَب ، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطَب خطأ مما اقتضاه ان يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي " [٤] ، و يلي النفي استفهام الذي يقتضي جواباً قولياً [٥] ؛ لأنه " أسلوب لغوي أساسه طلب الفهم ، والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحياناً بمفرد ، شخص أو شئ ، أو غيرهما" [٦] ، فضلاً عن ذلك نجد إقتران الإستفهام بـ (لام التعليل) لبيان العلة التي أدت إلى الجفوة و طلب الفهم للموقف الدائر بينهما الذي ملئته الشكوك و الملابسات .

لا يكتفي الجاحظ بطرح فكرته عن طريق النفي والإستفهام ، بل يستخدم العطف للولوج إلى فكرة أشمل وهي فكرة الربط الكامنة في" اصطناع علاقة سياقية نحوية بين طرفين باستعمال أداةٍ تدل على تلك العلاقة " [٧] ، و أن هذه الأداة المستعملة هي (الواو) الذي يوحي أن ما يتكلم عنه له ما يربطه بما في نفسه من آثار الألم و استمرار حزنه الذي أصابه من برودة علاقة بينهما ، فضلاً عن أنه يعد وصلاً فـ" حال الوصل أعلى رتبةً من حال الوقف ؛ و ذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة ، و الفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، و إنما تجنى من الجمل ومدارج القول ، فلذلك كانت حال الوصل عندهم أشرف و أقوم و أعدل من حال الوقف " [٨] .

(١) لسانيات الخطاب (صابر حباشة) : ١٣٧–١٣٨ .

(٢) التعريفات (الجرجاني) : ٦٢ .

(٣) الرسائل الأدبية للجاحظ (ت : علي بو ملحم) : ٣٣٣/١ .

(٤) في النحو العربي (نقد و توجيه) : ٢٤٦ .

(٥) ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ١١٢ .

(٦) في النحو العربي (نقد و توجيه) : ٢٦٤ .

(٧) نظام الإرتباط و الربط : ١٤٣ .

(٨) الخصائص : ٣٣١/٢ .

تقوم الرسالة على تشاكل مجموعة من التوازيات التركيبية التي تظهر نوعاً من الترابط الدلالي و تحقق توازناً بين موضوع النص و السياق الخارجي فضلاً عن أنها تقوم بخلق تجسيدات إيقاعية واضحة متمثلة في ترتيب عناصره وفق نسق منظم متوازٍ .

فالتوازي التركيبي يلعب دوراً مهماً في تحقيق الوظيفة الدلالية النابعة من تتابع الألفاظ و توظيفها وفقاً لسياقه النحوي وهذه التتابعات نلمسها في:

(كرهتَ قربي ـــ هويتَ بعدي)

(سرّتك سيئتي ـــ ساءتكَ حسنتي)

(ساءكَ تجملي ـــ سرّك جزعي)

وقد عبّر الجاحظ في الجمع بين نقيضين عن حالته النفسية التي يعشها و يتألمها في علاقته مع الزيات ، و قد كان موفقاً في طرح المتضادات المتوازية على هيئة التراكيب الفعلية التي تؤدي دورها في بناء النص و توليد دلالته التي تظل تستدعي في ذهن الزيات إيحاءات الألم و الحزن و الوجع ، فضلاً عن أن الفعل يتسم بعدم الثبات وهذا دليل على عدم ثبات الحالة النفسية للجاحظ و أن هذه التراكيب الفعلية حمّلتْ النص إيقاعاً موحياً و ذلك من إيقاعات الحركة و الإضطراب التي اتصفت به الأفعال ؛ لأن الفعل بدوره دال على الحدث و الحركة و التجدد .

وفي إطار هذه التوضيحات يمكن أن نشير إلى أن التوازي " عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من نفس السلسلة اللغوية ..... ، و أن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما نفس البنية ، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم على أساس المشابهة أو على أساس التضاد " [1] .

فطباق التضاد يعد من العناصر الأساسية في فكره بدليل قوله : " إنّك لا تعرف الأمور مالم تعرف أشباها ، ولا تعرف عواقبها مالم تعرف أقدارها ، ولن يعرف الحق من يجهل الباطل و لا يعرف الخطأ من يجهل الصواب ، ولا يعرف الموارد مَنْ يجهل المصادر " [2] .

فنجاح العملية التخاطبية بين الجاحظ و الزيات يقاس بمدى انسجام الخطاب الذي يترتب طبقاً لتتابع الأحداث زمنياً و مكانياً فضلاً عن استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج الخطاب من جانبه مما يجعل في نفس الزيات صورة حركية و صوتية تُحرك وجدانه و تؤثر بسحر الكلمات و أصواتها وإيقاعاتها المتناغمة المتوافقة مع الموقف الخطابي المعاتب .

فتوخى الجاحظ الدقة في استعمال الأساليب اللغوية و البلاغية لاسيما المحسنات اللفظية التي لها دورٌ فعّال في بيان الأثر الإيقاعي النابع من مكونات الألفاظ نفسها و ذلك بائتلاف أصواتها و تساوق ألفاظها و تناسقها إنسجامها و تناغمها ؛ لأن " الجمال الصوتي ، و التناسق الفني ، و إيقاع الموسيقي هو أول شئ أحسّته الأذن العربية " [3] .

فالمحسنات اللفظية لاسيما الجناس الناقص قد شاعت كثيراً في رسالته ، و على النحو الآتي :

(ساءك ـــ ساءتك)

(سرّك ـــ سرّتك)

لأنه " وسيلة تخلق موسيقى .... من خلال وضع الكلمات المتجانسة في علاقات فيما بينها كالترادف أو التقابل أو الإشتراك اللفظي أو التضام أو في سياقات توضح المعنى " [1] ، فضلاً عن أنه يوحي بالحركة ، وهذا ما يؤكد عليه

(١) شعرية القصيدة العربية المعاصرة : ١٤٤ .

(٢) رسالة التربيع و التدوير : ٦٩/٣ .

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين : ٢١٣ .

مقصدية الجاحظ التي تتمثل في تمكسه بتحريك ذهن الزيات نحوه و التأثير عليه نتيجة لهذه الحركات و الأحرف المتغيرة من زيادة إلى النقصان (سّرتك ــ سرّك) (ساءتك ــ ساءك) .

بما أن الجاحظ في موقف العتاب على الزيات فيحاول اختيار ما يناسب المقام الخطابي من أجل إبراز المعنى المراد و تأثيره على المخاطِب ، إذ لم يكتفِ بالطباق و التضاد و التصاقب ، بل لجأ إلى السجع و تنوع في طريقة عرضه ، بهدف جلب انتباه المخاطَب أكثر ، فاستخدم سجع قصير[٢] منتهي بالمصوت الطويل ، الياء المتسم بالوضوح السمعي و الجهر و الرنين [٣] الذي لها وقع في نفسية المخاطَب ، وليعلم المخاطَب بمدى انشغال فكره به ؛ بسبب الجفوة وقهره من البعد ، فضلاً عن الإعتدلال في استخدامه للسجع الذي يدل على توازنه في الكلام فيعطيه طلاوةً ورونقاً ، فإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت في النفس موقع الاستحسان [٤] ، و انتقل من سجع متوازٍ الذي هو اتفاق الأعجاز في الفواصل مع اتفاق الوزن إلى سجعٍ مُطَرف مختلفٍ في الوزن و متفق في الفاصلة [٥] .

اتكأ الجاحظ في خطابه على الإشاريات الزمانية التي تلعب دوراً هاماً في بيان زمن التكلم فلولا الزمن لحدث لبس في الخطاب فالزمن محدد بـ" المرجعيات الفكرية و المنطلقات النفسية ..... ، و كل ذلك يحقق خاصية التواصل و– –ماتقتضيه من قصدية لدى المخاطِب و فهم من لدن المخاطَب ؛ إذ هو المقصود من الاستعمال اللغوي في أكثر أحيانه ، لتلعب فيه الذاتية دورها الكبير هادفة إلى حثّ المخاطَب على فعل شئ أو تركه " [٦] .

لا شكّ أن الإشاريات الزمانية يمثل مظهراً من مظاهر تداولية الخطاب التي لها دور في تحديد التتابع الزمني و زمن التخاطب إذ نستقطب الزمن في الرسالة الجاحظ في الأفعال : (كرهتَ ، هويتَ ، اشتقتَ ، استطلتَ ، ساءتكَ ، ساءكَ ، سرّتكَ ، سرّكَ .....) بصيغة الماضي ، فالزمن يتحدد و يتحقق دخوله في إطار استعمال الخطاب بتحديد زمن إنتاج الخطاب من جانب المخاطِب ، فضلاً عن ذلك نجد أن الجاحظ قد أجاد في توظيف الأفعال المزيدة الماثلة في(استثقلتَ ، استطلتَ ، سرّكَ ، سرّتكَ ، تمينتَ ، أغضبكَ ، تمكّنَ....) بوصفه الموقف الخطابي الدائر في عدم عدالة العقوبة بسبب اختيار النخل على الزرع للصولي .

هذه الخطاطة تبين لنا التدرج في تأكيد الخبر :

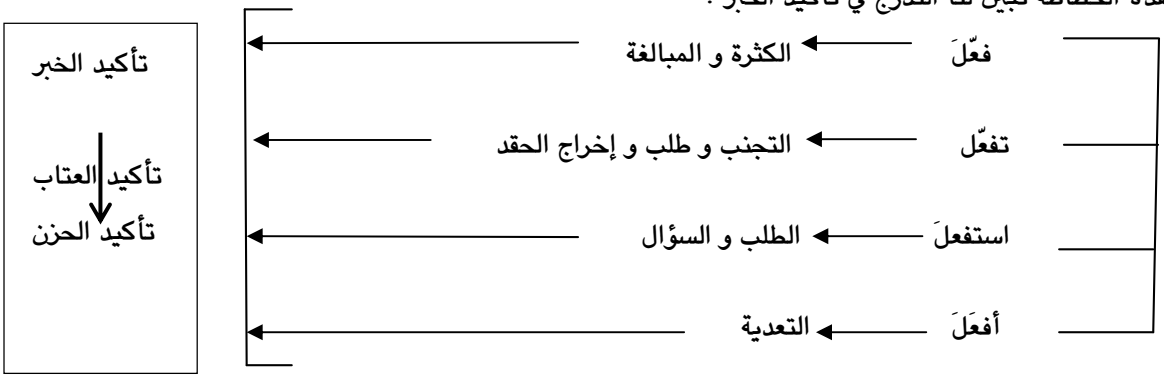

(١) علم اللغة النص (عزة شبل محمد) : ١٣٠ .

(٢) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة (ت عبدالحميد هنداوي) : ٣٣٢ .

(٣) ينظر: دراسة السمع و الكلام : ٢٥٥، ٢٦٦ ، و الأصوات اللغوية (إستيتية) : ١١٤ ، والأصوات اللغوية (الخولي) : ٤٢.

(٤) ينظر : المثل السائر (ت محمد محي الدين عبدالحميد) : ١ /١٦٩ .

(٥) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة (ت عبدالحميد هنداوي) : ٣٣١ .

(٦) لسانيات النص (نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري): ٥٨ .

ولو لاحظنا هذه الأفعال الواردة في أعلاها ، نجد أن الخطاب بدأ بإلقاء الخبر عليه و السؤال عن سبب الاستثقال و أكد على عدم العدالة و ذلك بالإتيان بالفعل (فعّل) الذي يدل على التكثير و المبالغة أي تكرار الفعل في زمن الطويل ، وقال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) : " من ذلك أنهم جعلوا تكرير العين ..... دليلاً على تكرير الفعل ..... فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها ، و جعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدث به ....." [١] ، و انتقل إلى الفعل (أغضبكَ) فعل مزيد بحرفٍ دالٌ على التعدية [٢] ، الذي يتعدى أثره الفاعل ليصِل إلى المفعول [٣] ، مرةً أخرى يأتي بفعل دالٍ على التكثير ألا وهو (عاقبَ) و بعد ما يؤكد لنا عدم عدالة العقوبة يأتي بالفعل (تمكن) على وزن (تفعّلَ) دالٌ على التجنب [٤] ، أي تجنب الحقد و الإبتعاد عنه .

إضافة إلى الإشاريات الزمانية نجد تحقق الخطاب التداولي في السياق محدد عبر المعطيات المكانية التي يعتمد تفسيرها و استعمالها على معرفة مكان التكلم وقت التكلم ، وهي أقل عدداً من سابقتها [٥] .

نستنتج من التحليلات السابقة أنه وغّل في تعميق فكرته و تنظيم خطابه باستخدامه للألفاظ و التراكيب التي تمتلك طاقة إيحائية تعبيرية قوية تضفي على النص جمالاً و تزيد وقعَ المخاطَب به و التأثير عليه و تحقيق مآربه و مقاصده التي ترمي إليه .

لعل العودة إلى نص الجاحظ في حديثه عن الجفوة التي وقعت بينهما تكشف لنا لمحة ضمنية تشير فيه إلى الإنتقال من الهزل الى الجد ، و الإصرار في العتاب و تأكيد الخبر الذي يتضمن معاقبته ، وهذا ما نلحظه في اسلوبه عند انتقاده للزيات في قوله : " وبعد متى صار اختيار النَّخل على الزرع يحقد الإخوان ، ومتى صار تفضيل الحبّ وتقريظ الثمر يورث الهجران ومتى تميزوا هذا التميُّز وتهالكوا هذا التهالك؟ ومتى صار تقديم النخلة ملّة ، وتفضيل السنبلة نحلة ؟ ومتى صار الحكم للنعجة نسباً وللكرْمة صِهراً ، ومتى تكون فيها ديانة وتستحكم فيها بصيرة ، ويحدث عنها حميَّة " [٦] .

تحقيقاً للمقاربة التداولية في اسلوب الجاحظ ، نلحظ استعانته بالاسلوب الإستفهامي في خطابه الموجه إلى الزيات ، و إنّ الجاحظ يلجأ إلى هذا الأسلوب ؛ لأنه " يريد به من المخاطَب أمراً لم يستقر عند السائل " [٧] ، فاستعمال الأسئلة الأستفهامية " تعد من الآليات اللغوية التوجيهية بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحدوهو ضرورة الإجابة عليه ومن ثمّ ، فإنّ المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث بل و للسيطرة على ذهن المرسل إليه " [٨] .

---

(١) الخصائص : ١٥٧/٢ .

(٢) ينظر : الصرف الواضح : ١٠١.

(٣) ينظر : نحو اللغة العربية :٤٢٥ .

(٤) ينظر : الصرف الواضح : ١٠٦ .

(٥) ينظر : استراتيجيات الخطاب (الشهر) : ٨٤ ، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية : ٢٥ ، و البعد التداولي و الحجاجي : ٢٣ ، و الاتجاه التداولي و الوظيفي : ٩٢ .

(٦)رسالة الجد و الهزل : ١/ ٢٤٠ .

(٧)الكتاب : ١٢٩/٢ ،

(٨)استراتيجيات الخطاب (الشهري) : ٣٥٢ .

فضلاً عن استخدامه لأدوات أسلوبية كامنة في التكرار الذي يتمظهر بأشكالٍ مختلفة في السياق ، فإما يكرر الدال مع مدلول واحد ، و إما أن يكرر مدلول بتحقيقٍ من جديد في كل مرّة ، و أن الملحظ الدقيق في التكرار يكمن في تحقيق التماسك النصي ، و رصد فك شفرات الخطاب و إدراكه و فهمه و كيفية أدائه [1] ، فتكراره لقوله :

متى صار اختيار النخل

متى صار تفضيل الحبّ

متى صار تقديم النخلة ملة

متى صار الحكم للنعجة نسباً

إن تكرار الإستفهام مع أفعال الكينونة على مدار سطور الرسالة يثير إنتباه المخاطَب ، و يرصد وظيفته الخطابية المنصبة على الإفهام و الكشف و التوضيح و التوكيد ؛ لإزالة ما علّق في نفس الزيات من شكوك ؛ و ليوضح أن خطابه يرتبط بأمرين : أحدهما استمرار عتابه ، و الآخر تفريطه في حزنه .

و الظاهر أن التكرار لم يقتصر على (متى صار) بل تعداه الى تكرار تركيب إسمي دال على الدوام و الاستمرار و الثبوت كما يقول عبدالقاهر الجرجاني : " أن موضوع الإسم على أن يثبت به المعنى للشئ من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شئ " [2] ، فكل تركيب مبدوء باسم استفهام يعد تركيباً اسمياً الذي جاء مؤكداً لتعالق الحزن في نفسه و تألمه ، و تكراراً للحالة النفسية المعبرة عنها و ثباتها في نفسه ، و أن معنى الحزن لديه يتزايد قوةً و تأكيداً و شدةً بفضل تكرار المبنى الذي يفضي إلى زيادة المعنى داخل الخطاب .

التكرار أكسب الخطاب إيقاعاً رتيباً متناسباً مع الموقف الخطابي المعاتب و متسقاً مع الدلالة التي أوحته نص الرسالة ، فالجاحظ لايرضى من الزيات مجرد فهمه لمعاتبته بل يريد أن يوقع أثراً في نفسه من خلال معايشته لألم البعد و حزنه على أيامه التي أمضاه طيلة فترة البعد .

فأراد إثارة التوقع ، و تأكيد المعنى و ترسيخه في ذهن الزيات بتنوعه في استخدام الأساليب اللغوية و أخذه استراتيجية معينة في توضيح مقاصده الخطابية و المعاني المطلوبة إيصالها إليه في زمان و مكان معينين مراعياً الظروف المحيطة بهما ، فهذا ما يحدث تقارباً بين منهجه المتبع في تحليل الخطاب تداولياً و بين منهج التداوليين الذي يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً بالكلمات وحدها ، ولايرتبط بالمخاطِب وحده ، ولا المخاطَب وحده ، و إنما يتمثل في تداول اللغة بين المخاطِب و المخاطَب في سياق محدد وصولاً إلى المعنى الكامن في خطاب ما [3] .

(١) علم اللغة النصي (صبحي الفقي) : ٢٠/٢ و ٢٢ .

(٢)دلائل الإعجاز : ١٣٣–١٣٤ .

(٣) ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر .

نتائج البحث

إن اتجاه التداولي في أية دراسة لغوية تستدعي ضمن ما تستدعي آليات تمتلك القدرة على الخوض في تفكيك المادة اللغوية ومن ثَمّ تركيبها ، فرسالة الجد و الهزل للجاحظ ، جهد تداولي في منظوره الأولي ، فالجاحظ توغل عميقاً في تصوير دالات خطابه ومن ثَمّ الدقة في سرعة توصيلها ؛ لذلك فقد اتقن الجاحظ إمكانية المداولة بين عناصر الخطاب من فعل وزمان ومكان دلالات سياق يوجه القيمة التداولية لهذه العناصر لدى المخاطَب وهيئات يعلنها لدى المتلقي ، القارئ في رسالة الجد و الهزل لايسعه إلى أن يصل إلى بؤرة العمق في فكرة الجاحظ عن التداولية و تبني مقاصدها الخطابية دون أن يمكن ذلك من الغور فيها .

المصادر و المراجع

- الاتجاه التداولي و الوظيفي في الدرس اللغوي : د.نادية رمضان النجار ، مؤسسة حورس الدولية ط ١ ، ٢٠١٣.
- الإحالة في شعر أدونيس : د. داليا أحمد موسى ، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ، ط١ ، ٢٠١٠ .
- استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية – : عبدالهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- الأصوات اللغوية : د .محمد علي الخولي ، مكتبة الحزب يحيى للنشر ، الرياض ، ط١، ١٩٨٧ م .
- الأصوات اللغوية رؤية عضوية نطقية فيزيائية : سمير شريف إستيتية ، دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان – الأردن ن ط١ ، ٢٠٠٣م .
- آفاق جديدة فيالبحث اللغوي المعاصر : د.محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٢م .
- الايضاح في علوم البلاغة : للخطيب القزويني (٧٣٩هـ) ، ت : عبدالحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع – القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٤م .
- البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني : د.قدور عمران ، عالم الكتب الحديث إربد – الأدرن ، ط١ ، ٢٠١٢ .
- التداوليات و تحليل الخطاب (بحوث محكمة) : تقديم : د. حافظ إسماعيلي علوي ، و د.منتصر أمين عبدالرحيم ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٤م .
- التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في تراث اللساني العربي) : د.مسعود الصحراوي ، دار طليعة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- التعريفات : علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، ت : محمد الصديق المنشاوي ، دار الفضيلة .
- جرس الألفاظ و دلالاتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب : ماهر هلالي ، دار الحرية للطباعة و النشر ، بغداد ن ١٩٨٠م .
- الخصائص : أبي الفتح عثمان بن جني ، ت : محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ١٩٩٩م .

- خصائص الحروف العربية ومعانيها : حسن عباس ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، د.ط ، ١٩٩٨م .
- دراسة السمع و الكلام : سعد مصلوع ، عالم الكتب القاهرة ، د.ط ، ١٩٨٠م .
- دراسة المعنى عند الأصوليين (علماء أصول الفقه) : طاهر سليمان حمودة ، دار الجميل للنشر و التوزيع ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- دلائل الإعجاز : الإمام أبي بكر ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ) ، ت : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، د.ط .
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمن ، ت : كمال بشر ، دار الغريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- الرسائل الأدبية للجاحظ : عمر بن بحر بن محبوب الكنائي بالولاء الليثي ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، دار و مكتبة الهلال – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .
- رسائل الجاحظ (رسالة جد و الهزل) و (رسالة التربيع و التدوير) : أبي عثمان بن عنر بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، ت : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط١ ، ١٩٧٩م .
- سر صناعة الإعراب : أبي الفتح عثمان بين (ت ٧٩٢هـ) ت : محمد حسن محمد حسن اسماعيل ، أحمد رشدي شحاتة ، دار الكتب العلمية ، ط١، ٢٠٠٠م .
- شرح المفصل للعلامة موقف الدين يعيش ابن على بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة اسلوبية) : د . محمد العياش كنوني ، عالم الكتب الحديث – إربد ، ط١ ، ٢٠١٠ .
- الصرف الواضح : عبدالجبار علوان النايلة ، مديرية دار الكتب للطباعة و النشر ، د.ط ١٩٨٨ م .
- الصناعتين : أبو هلال العسكري ، ت : احسان عباس .
- الظرف خصائصه و توظيفه النحوي : المتولي علي المتولي الأشرم ، مكتبة جزيرة الورد ، بالمنصور ، د.ط ، ٢٠٠٣م .
- علم الأصوات : كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٠م .
- علم الدلالة السيمانتكية و البراجماتية في اللغة العربية : د.شاهر الحسن ، دار الفكر للطباعة و النشر ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠٠١ م .
- علم اللسانيات الحديثة : د.عبدالقادر عبدالجليل ، دارصفاء للنشر و التوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- علم اللغة النص (النظرية و التطبيق) : د عزة شبل محمد ، مكتبة الآداب ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .
- علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) : د.صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة و النشر ، القاهرة ، البطعة الأولى ، ٢٠٠٠م .
- في النحو العربي (نقد و توجيه) : د.مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ م .

- الكتاب / سيبويه : أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبرة ، ت : عبدالسلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٦م
- لسان العرب : للإمام العلامة لأبن منظور (ت ٧١١هـ) ، اعتنى بتصحيحها : أمين محمد عبدالوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ط٣ .
- اللسان و الميزان أو تكوثر العقلي : د.طه عبدالرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، بيروت
- لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة (فلسفة المعنى بين نظام الخطاب و شروط الثقافة : د.عبدالفتاح أحمد يوسف ، منشورات الاختلاف ، دار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠١٠م.
- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) : محمد خطابي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، الناشر : المركز الثقافي العربي ، بيروت .
- لسانيات النص (نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري) : أحمد مداس ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأدرن ، ط١ ، ٢٠٠٧ .
- اللغة و سيكولجية الخطاب (بين البلاغة و الرسم الساخر) : د. سمير شريف استيتية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .
- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر : لابن الأثير ، ت : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده بمصر .
- مجموع رسائل الجاحظ : حقق نصوصه و قدّم لها و علّق عليها : د.محمد طه الحاجري ، دار النهضة العربية – بيروت د.ط ، ١٩٨٣م .
- المدخل إلى علم الأصوات العربية : د. غانم القدوري الحمد ، منشورات المجمع العلمي ، د.ط ، ٢٠٠٢ .
- معاني النحو : د.فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ط٢ ، ٢٠٠٣ .
- نحو اللغة العربية (كتاب في القواعد النحو و الصرف مُفصّلة و موثوقة مُؤيدة بالشواهد و الأمثلة) : د. محمد أسعد النادري ، المكتبة المصرية ، خيرا – بيروت ، طبعة جديدة منقحة ، ٢٠٠٩م .
- النحو الوافي (مع ربطه بالأساليب الرفيعة و الحياة اللغوية المتجددة : عباس حسن ، عباس حسن ، دار المعرفارف عصر ، ط٥ ، ١٩٧٥م.
- نسيج النص _ بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً) : الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .
- نظام الإرتباط و الربط في تركيب الجملة العربية : د مصطفى حميدة ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، طبع في دار نوبار للطباعة – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .
- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان :لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، ت : د.احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

الرسائل الجامعية :

- الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية (باب الذكر و الدعاء) أنموذجاً : حورية رزقي ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، ٢٠٠٥–٢٠٠٦.
- الإحالة في ضوء لسانيات النص و علم التفسير من خلال تفسير التحرير و التنوير : زهرة توهامي ، المركز الجامعي أولحاج ، معهد الآداب و اللغات ، ٢٠١٠–٢٠١١ .
- تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني : عائشة عويسات ، رسالة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ، جزائر ، كلية الآداب و اللغات ، ٢٠٠٩–٢٠١٠ .
- دور الروابط في اتساق و انسجام الحديث القدسي (دراسة تطبيقية في صحيح الأحاديث القدسية للشيخ مصطفى العدوي) : محمد عرباوي ، رسالة ماجستير الحاج لخضر ، كلية الآداب و اللغات ، ٢٠١٠–٢٠١١.
- الكتابة و رهانات الاقناع (مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد) : بشير دردار ، أطروحة دكتوراه، جامعة ابي بكر بالقايد ، تلمسان ، كلية الآداب و اللغات ، ٢٠١٢–٢٠١٣ .
- مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية : نسيمة نابي ، جامعة مولود معمري ، كلية الآداب و العلوم الانسانية .

الدوريات :

- أثر الصوت في توجيه الدلالة (دراسة أسلوبية صوتية) : دكتورة ساجدة عبدالكريم ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد ١٧ ، العدد ٣ ، ٢٠١٠ .
- الإحالة بالضمائر و دورها في تحقيق الترابط في النص القرآني (دراسة وصفية تحليلية) : نائل محمد اسماعيل ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، المجلد ١٣ ، العدد ١ (B) ، ٢٠١١ .
- ضمائر العربية (المفهوم و الوظيفة) : دندوقة فوزية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، العدد السادس ، ٢٠١٠ م .

ملخـــص :

تناول هذا البحث دراسة الإشـــاريات الإبهامية في رسالة الجد و الهزل للجاحظ (مقاربة تداولية) ، إذ عرض في مقدمته الحديث عن الإشاريات الإبهامية و أهميتها في رسالة (الجد و الهزل) التي تعد مِهاد لغوي يتجلى بوضوح مدى تناسق الدلالة بين المخاطِب و السياق الزماني و المكاني بتتبع عناصره الإشارية من ضمائر وظروف وما يحيل كلّ ذلك على السياق من مؤلفات نصية تداولية .

پوختە :

ئەم توێژینەوەیە ئاماژە ناداریەکانی نامیلکەی (الجد و الهزل) ی جاحز لە بەراود کردنێکی بەردەستانە باس دەکات لە پیشەکیە کەیدا ئاماژە ناداریار گرنگیەکەی دەخاتە روو لە نامیلکەی ناو براو کە دەسبیکێکی زمانەوانی یە ، و بەروونی رێك خستنی واتا لە نێوان قسەکەر و دەرهاوێشتە کاتی و شوێنیەکان بە دەردەخات ئەویش بە بەدوا داچوونی پێکهاتەکانی جێناو و هاوەڵناوەکان و گشت کارتێکردنەکانیان لەسەر سیاقی ئەو دەقانەی کە دروست دەبن و بە ردەستن .